THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

الأول

١

سلسلة الشرق في الأدب

أبو نواس

شاعر هارون الرشيد ومحمد الأمين

القسم الأول : دراسة ونقد

تأليف

عمر فروخ

أستاذ الأدب العربي في كلية المقاصد الإسلامية : بيروت

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمكتبة الكشاف : شارع المعرض : بيروت

مطبعة الكشاف ببيروت

١٣٥١ ـ ١٩٣٢ م

PJ
7701
.A2
Z5

V.1

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة الكشاف الادبية

ابو نواس هو الحلقة الاولى من سلسلة ادبية عزمت مكتبة الكشاف على نشر حلقاتها بين الفينة والفينة، وغاية المكتبة الاولى وضع دراسات علمية بين ايدي تلاميذ الادب والمتخصصين في الابحاث الادبية . وستكون كل حلقة في قسمين مستقلين : القسم الاول يحتوي على دراسة تحقيقية في ترجمة الشاعر او الكاتب ، والقسم الثاني يضم مختارات منقودة محللة من آثاره ، اما الشعراء والادباء المقلون فسيكتفى لهم بقسم واحد .

ترى المكتبة انه يستحيل على اديب واحد ان يقوم باعداد جميع حلقات السلسلة ؛ من اجل ذلك ستعهد عند اعداد كل دراسة الى اديب متخصص في ناحية تلك الدراسة ، واملها وطيد بان عملها هذا سيكون خدمة حقيقية للادب والادباء .

الناشر

مصطفى فتح الله

8-24-13 MB

الفهرست

كلمة الناشر

رسم رمزي لابي نواس

الكلمة الاولى — المصادر والمراجع ص ١ — ٢

الفصل الاول ترجمة ابي نواس ص ٣ — ١٦

نسبه ومولده — الى البصرة — والبه استاذ الحسن — علوم الحسن الاولى كنية الحسن — متى جاء الى بغداد — حياته في بغداد — اصحابه جنان وابني نواس — هل تزوج ابو نواس ؟ — ابو نواس في مصر — طريقه الى الخصيب — ابو نواس والامين — موت الامين — موت ابي نواس وسببه — فلسفته ومذهبه في الحياة — قوميته ودينه .

الفصل الثاني ابو نواس الشاعر ص ١٧ — ٢٦

والبة بن الحباب استاذ ابي نواس — روايته — حياته في البصره والكوفة وبغداد — الثقافات المتمازجة في بغداد — اثره في شعره — صراحته — ثروته الشعرية — كيف كان ينظم — مقدرته الفنية — المنحول لابي نواس نموذج للشعر المولد .

الفصل الثالث دراسة ديوان ابي نواس ونقده ص ٢٧ — ٤٢

المديح والرثاء — المديح الغزلي — الهجاء — الصفات والطرديات — العتاب والنسيب — الخمريات — الغزل والمجون — الزهديات .

الفصل الرابع بدء دراسات ص ٤٣ — ٥٤

اهمية الدراسات الصغيرة — البديع — الكناية — آل ابي نواس — الخصيب — الكلمات العامية — الغزل المذكر .

الكلمة الاولى

هذه دراسة شبه مفصلة في شعر ابي نواس، تتناول ترجمته، ثم البيئة التي نشأ فيها والعناصر التي ساعدت على توجيه شعره الى مستقره؛ ثم نقد لابواب شعره . ولقد كان جُلُّ اعتمادي وخصوصاً في الفصل الثالث على ديوان الشاعر مستعيناً بما قاله عنه نقاد الادب من قدماء ومحدثين، وانا لا ادعي انني استنفدت كل ما يجب ان يقال ولا انني قلت الكلمة الاخيرة في الشاعر.

ع. ف.

المصادر والمراجع

١ — ديوان ابي نواس (مصر ١٨٩٨ ، طبعة اسكندر آصاف) — ان احسن وسيلة للوصول الى حقيقة الشاعر او الاديب أن يرجع الدارس الى اثارهما .

٢ — ابن منظور — اخبار ابي نواس ، الجزء الاول ، ولم يطبع غيره (مصر) .

٣ — الطبرى — تاريخ الرسل والملوك (ليدن) .

٤ — الاصفهاني — كتاب الاغاني (مصر ، دار الكتب ومطبعة التقدم)
٥ — ابن النديم — الفهرست (المطبعة الرحمانية — مصر) .
٦ — ابن الانباري — نزهة الالباء في طبقات الادباء (مصر ١٢٩٤ هـ) .
٧ — ابن خلكان — وفيات الاعيان (المطبعة الميمنيه — مصر) .
٨ — الخطيب البغدادي — تاريخ بغداد ، المجلد السابع ص ٤٣٦ وما بعدها (مصر ١٣٤٩ هـ ١٩٣١ م) .

وقد احتجت الى مراجعة اسماء الاماكن فاعتمدت معجم البلدان لياقوت الحموي (مصر) وكتابي المسالك والممالك لابن خرداذبه وابن حوقل، ورجعت ايضاً الى الجزء الاول من حديث الاربعاء لطه حسين واستعنت بما كتبه بروكلمان في كتاب تاريخ الادب العربي (الماني) وبمقالته في دائرة المعارف الاسلامية ، واستنرت بكتاب نيكلسون تاريخ العرب الادبي (انكليزي) . وهنالك كتب اخرى كثيرة في اللغة العربية او الانكليزية او الافرنسية لاحاجة الى سرد اسمائها كلها لان جل اعتمادي كان على المصادر العربية التي بنيت هذه المراجع عليها .

الفصل الاول

ترجمة ابي نواس

مولده ، هجرته وعلمه ، اساتذته ، اتصاله بالرشيد ،
رحلته الى مصر ، سبب اتصاله بالامين ، موته

كاد مؤرخو الادب يجمعون على ان الحسن بن هانيء (اسم ابي نواس) فارسي ولد في سوق الاهواز احدى قرى خوزستان [١] في الجنوب الشرقي من فارس ، على نهر تستر على الحدود العراقية ، وذلك بين سنة ١٣٠ و ١٤٥ هـ (٧٤٧ — ٧٦٢ م) ؛ والارجح انه ولد بعد سنة ١٤٠ [٢] . اما نسبه فلا نعرف عنه اكثر من ان اسم امه كان جُلّبان ، فيما رُوِي [٣] ؛ وأنّ اسم ابيه هانيْ او هني ، وربما كان الاول محرفاً عن الثاني ؛ وما بقي من نسبهما او عملهما فمجهول تماماً . ان ابن النديم [٤] ، مثلا ، يقول عند الكلام عنه « ويُستغنى بشهرته عن استقصاء نسبه وخبره » واما ابو الفرج الاصفهاني ، صاحب كتاب الاغاني ، فيظهر انه اضاع ترجمته . يفتتح ابو الفرج الجزء

---

(١) الاهواز . تطلق الاهواز على مقاطعة خوزستان ، كما انها تطلق على بلدة في تلك المقاطعة ، على ان سوق الاهواز تطلق في الاغلب على البلدة والاهواز على المقاطعة

(٢) ابن منظور ، اخبار ابي نواس ١ : ٥ ؛ ابن خلكان ١ : ١٣٦ .

(٣) ابن منظور ١ : ٢ — ٤ ، ٣٢ — ٣٤ .

(٤) الفهرست ٢٢٨ .

السادس عشر من كتابه « باخبار ابي نواس وجِنَان خاصة » ويتبع هذه الجملة بقوله « اذ كانت اخباره قد افردت خاصة » ، ولكننا لا نعثر على هذه الاخبار في جميع اجزاء كتاب الاغاني [١] . ويظهر لنا ان الحسن بن هانيء لم يكن نسيباً ، وان هذا الاضطراب في سياقة نسبه نتيجة غموض فيه ؛ وجوابه للخصيب (امير مصر — انظر فيما يلي) [اغاني ادبي عن نسبي [٢]] يدلنا على ان الشاعر لم يكن معجَباً بنسبه .

الى البصرة

وفدت جلبان بابنها الحسن وعمره سنتان ، او ست سنين كما يقول ابن منظور [٣] ، الى البصرة ، فنشأ فيها وتعلم القرآن حتى اتقنه . هنا يضطرب تاريخ الحسن بن هانيء ، وعلى كل فان امه كانت قد اسلمته الى عطار في البصرة يعمل عنده .

والبة استاذ الحسن

كانت اول شخصية شعرية اتصل بها الحسنُ بنُ هاني والبةَ بن الحباب ؛ رآه عند عطار البصرة ، كما يخبرنا اكثر الرواة ، [فاستحلى قده واعجب بظرفه [٤]] وجعل يخدعه ويمنّيه بتخريجه في الشعر حتى حمله على اللحاق به . صَحِب الحسنُ بن هانيء والبةَ بن الحُباب الى الكوفة ؛ وهنالك عاشر

---

(١) الاغاني ١٦ : ٢ ؛ ابن منظور ١ : ١

(٢) ابن خلكان ١ : ١٣٥

(٣) ابن منظور ١ : ٥

(٤) ابن خلكان ١ : ١٣٥ ؛ ابن منظور ٦ — ٩ ، ١٢ اسفل و ٤٨

شعراءها ومجّانها ، وكان لوالبة خاصةً تأثير عليه كبيرٌ ، ولكن تأثير سيء الاثر الى مدى بعيدٍ جداً .

علوم الحسن الاولى

يظهر لنا ان الحسن بن هانيء كان يتلقى علوم الدين كالقرآن والحديث والفقه ، وعلوم اللغة كالنحو والغريب (المفردات) بين سنة ١٥٠ و ١٦٠ هـ في البصرة [١] . في جانب عبد الواحد بن زياد (ت ١٥٦) وابو زيد والكميت الذين كان الحسن بن هانيء يتلقى عنهم العلوم ، كان ثمت رجلان ، احدهما والبة بن الحباب الذي مر ذكره معنا وثانيهما خلف الاحمر (ت ١٨٠هـ)، يتعهدان شاعرنا تعهداً شديداً فتأثر الحسن بمذهب والبة في الحياة وطريقته في نظم الشعر لانه كان اقدم اساتذته ؛ اما خلف الاحمر الذي كان اكثر هؤلاء تعليما له وتأديباً [٢] فاخذ عنه الحسن رواية الشعر ، والتفقه في اشعار القدماء . وبعد هذا كله ، اشار والبة على تلميذه القديم ان يقضي سنة في بادية بني اسد يأخذ اللغة الفصحى عن أعرابها ففعل .

كنية الحسن

قيل إن ابا نواس لما اتصل بخلف الاحمر اشار عليه خلف ان يتكنى — عادة كانت شائعة في ذلك الحين — وعرض عليه كنىً يمنية ؛ في بدء كل منها ذو ، مثال ذلك : (ذو جدن ، ذو يزن ، ذو كلاع ، ذو نواس ...)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية تحت « ابو زيد » ؛ ابن منظور ١ : ٢٧

(٢) ابن منظور ١ : ٤٨

فاختار الاخيرة وكني من ذلك الحين ابا نواس . وربما اكتسب ابو نواس كنيته من ذوابتين كانتا تنوسان على عاتقيه ، او من ذوابة واحدة [١] .

ولاء ابي نواس

كان الناس يفاخرون بانسابهم مفاخرة شديدة ، ونسب ابي نواس كان وضيعاً — هذا اذا لم يكن مجهولا تماماً — فحاول ان ينتسب بالولاء [٢] الى اليمن ، عرب الجنوب ؛ ثم ادعى للنزاريه ، عرب الشمال اعداء عرب الجنوب في العَصَبِيّة . واراد ان ينتسب الى الفرزدق الشاعر كما حاول ايضاً الحاقَ نسبه بعبيد الله بن زياد ، ولكنه لم يوفق الى شيء من هذا وظل على ذلك مردود النسب والولاء [٣] .

اذن ، يجب ان لانعجب اذا رأينا لذلك اثراً ظاهراً في حياته الشخصية والشعرية ، وعلى الاخص فيما يتعلق بمذهبه ومسلكه وهجائه .

متى دخل ابو نواس الى بغداد ؟

ان شاعراً كابي نواس ، بَزّ كل معاصريه ، لايمكن ان يتسع له المجال الا في العاصمة ، ولذلك ترك البصرة التي نشأ فيها وترك الكوفة ، مقر استاذه ورفيق صباه والبة ، وجاء الى بغداد .

لقد كان من المنتظر ان يأتي والبة مع ابي نواس الى بغداد ، ولكنه لم

---

(١) ابن خلكان ١ : ١٣٦ ؛ الاغاني ١٦ : ٦ ؛ ابن منظور ١ : ٣ — ٤ ، ١٩٠

(٢) كانت العادة اذا اسلم رجل غير عربي ان ينتسب بالولاء الى رجل عربي او قبيلة عربية .

(٣) ابن منظور ١ : ١٦ — ١٧ ، ٢٨ ، ٣٦

يفعل لانه كان قد اتى اليها من قبل وهاجى بشار بن برد وابا العتاهية فكانا اشد منه لساناً في الهجاء. ففضحاه وخرج من بغداد الى الكوفة كالهارب وخمل ذكره بعد ذلك [١] ، ولولا انه كان استاذاً ورفيق صبىً لابي نواس لما اشتهر قط .

متى جاء ابو نواس الى بغداد ؟

يظهر لنا ان ابا نواس جاء الى بغداد في اواخر ايام المهدي (١٥٨—١٦٩هـ) وربما كان ذلك في ايام موسى الهادي (١٦٩ — ١٧٠)او في اوائل خلافة هرون الرشيد . ونادم ابو نواس ابناء المهدي فلم يُلْقَ مع احد من الناس غيرهم [٢] ، ولكنه لم يتصل ببلاط بغداد الا في ايام الرشيد .

تولى هرون الرشيد الخلافة فاتخذ ابا نواس شاعراً له وقربه اليه ، وابو نواس اكبر شاعر عرف في ذلك الحين . اخذ ابو نواس يتتبع حوادث البلاط الداخلية ، والتي تتعلق بحياة هرون الخاصة خاصة ، كما يروى لنا ، ثم ينظمها في قصائده ويدخل بها على الخليفة في ساعات سروره او حزنه ويروح عنه او يزيده سروراً . على ان هذا لايعني ان هرون الرشيد كان يرضى عن كل ما يقوله ابو نواس من الشعر ، فلقد حبسه على بعضه مراراً .

حياة ابي نواس في بغداد

عاش ابو نواس في بغداد عيشة لهو وعبث يختلف الى المُجّان ويصاحب المخنّثين ويتردد على الحانات السرية المنتشرة في ضواحي المدن كقَطْرَ بُّل

---

(١) الاغاني ١٦ : ١٤٢ ، انظر ايضاً ١٦ : ١٤٣ — ١٤٤

(٢) ابن منظور ١ : ٧

او كلواذى وهذه الاخيرة على مسيرة فرسخين من بغداد؛ او طِيرَناباذ، «احد المواضع المقصودة للهو والبطالة» وتبعد عن بغداد اربعة فراسخ [1]، او غير هذه ايضاً . وهنالك في تلك البؤر المهلكة كان يقضي اياماً واسابيع وربما شهراً لا يهتم سوى بشرب الخمر وسماع الالحان والعبث والمجون ونظم الشعر فيما يأتيه .

من الظلم ان نقول، مع بعض مؤرخي الادب الحديثين، ان ابا نواس كان يمثل الحياة في البيئة العباسية، انه كان يمثل ناحية واحدة من الحياة في بغداد، او غير بغداد كالبصرة والكوفة، — تلك الناحية الواحدة كانت ناحية اللهو والتهتك . اما النواحي الاخرى، الورع والتقوى، العلم والصناعة القومية والعصبية، فقد كانت موجودة، وفقدان صورها في شعر ابي نواس لايتخذ دليلا على فقدانها .

اصحاب ابي نواس

لم يمثل ابو نواس ناحية اللهو والعبث بنفسه فقط بل كان حوله اناس ينهجون نهجه الفوا بجموعهم، كما يخبرنا ابو نواس في بعض اشعاره «عصابة سوء»، منهم صريع الغواني مسلم بن الوليد، والفضل الوقاشي، ومطيع بن اياس، وابان بن عبد الحميد، وحمّاد عَجْرد، والحسين بن الخليع الضحاك، ومنهم عنان، احدى القيان المعروفات بالعبث ايام ابي نواس. كل هؤلاء، وما يمكن ان نعد من اصحابهم، كانوا شعراء، اما مقلين او مكثرين، يحضرون

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ابن خرداذبه المسالك والممالك (ليدن) ٦، ١٩٣، ٢٣٥، ٩، ١١

مجالس اللهو والشراب وربما تلاحَوْا او تهاجَوْا على الخمر ، ثم تصافَوْا بعد ذلك .

من اصدقاء ابي نواس الحميمين شاعر الشوق والهوى ، العباس بن الاحنف ، ولكن العباس بن الاحنف كان من طينة غير طينة من سبق فعددنا ، فهو شاعر عفيف بالنسبة الى جماعة ابي نواس ولهذا السبب يمكننا ان نخرجه من « عصابة السوء » .

جنان وابو نواس

جنان جارية اكثر ابو نواس من ذكرها في شعره ، ويخبرنا الرواة انه عشقها عشقاً مُبرّحاً وانه لم يُخلص في حب امرأة غيرها ، ولقد تقرب اليها بجميع ما ملكت نفسه ويداه وربما استنتجنا من بعض الروايات انها بادلته شيئاً من هذا الحب في سِتر . ثم ان هذا الحب شاع فارسلتها سيدتها الى حَكَبان (موضع بالبصرة) لعل ابا نواس ينساها [1] فلم ينسها .

والذي يبدو ان جنان كانت شديدة التمنع قليلة الرحمة لابي نواس ، مع تذلله لها ، فكان لذلك يأتي كل ما يستطيعه ليتصل بها حتى انه حج في السنة التي حجت هي فيها ، وهو لم يكن يفكر قبل ذلك بالحج ولا فكر به بعد هذا . انه لم يذهب الى الحج حتى لا يحرم ملذات بغداد ، ولا يمنعه حجه من قصفه ولهوه ؛ اما الآن فقد حج واعتذر لذلك بقوله :

---

(١) في الاغاني (١٦ : ٨) ان رجلا بصرياً اشتراها ورحل بها عن بغداد .

الم تر انني افنيت عمري بطلبها ومطلبُها عسيرُ ؟
فلما لم اجد سبباً اليها يقربُني واعيتني الامورُ
حَجَجْتُ وقلت قد حجت جنان فيجمعني واياها المسيرُ

اننا نرى الى جانب هذه الرواية رواية اخرى مناقضة لها تنكر ان يكون ابو نواس قد احب جنان او احب سواها من النساء ؛ وتحمل ما كان منه على العبث واللهو ، لان ذلك لم يكن مذهبه ، وانما عرف بغيره . . .

هل تزوج ابو نواس؟

كان اهل ابي نواس يقيمون في البصرة فقدموا عليه ذات يوم يعذلونه على ما هو فيه من الفتك والمجون وصحبة المخنثين فيتزوج ويعيش عيشة هادئة راضية ولكنه ابى ان يرجع عن غيه [1] .

يقول ابو نواس في قصيدته في الخصيب (انظر فيما يلي) :

تقول التي عن بيتها خف مركبي يعز علينا ان نراك تسير

وله في قصيدة اخرى في الخصيب ايضاً :

يا ابنتي ابشري بمسيرة مصر وتمنّيْ وأسرفي في الاماني

ونلاحظ انه وصف هذه الابنة بقوله :

الا ان بنتي بنت من لم ير ابنة ولا ابناً سواها قد تبر وتُؤنس
فيا برّ برّيني حياتي وان امت فلا تدخريني دمعة حين أُرمس
فذاك ابن سوء لايرى لعشيرة سلاحا ولا يعطى اللواء فيرأس
تحب اباها حب من لا أبا له وتذكره في الصدر وحشي فتأنس

---

(١) ابن منظور ١ : ١٠٦–١٠٨

وقد روي في ديوانه ايضاً انه رثى ابناً له فقال : —

لعمرك ما ابقى لنا الموت باقيا نقرّ به عينـا غداة نؤوب

كاني وترت الموت بابن افاده على حين حانت كبرة ومشيب

الا تلاحظ معي ان كلمة « نؤوب » توحي ان «الابن » توفي و«الاب» في مصر ، او في غير مصر . وعلى هذا نرى انه اذا ثبتت هذه الابيات لابي نواس، تحقق لنا انه كان متزوجاً وانه رزق اولاداً،ولكن التاريخ لم يذكرهم ولم يحفظ اسماءهم ولا شيئاً مما يتعلق بحياتهم كما انه لم يخبرنا شيئاً عن آل ابي نواس واهله .

ويظهر لنا من مراجعة ديوانه (ص ١٠٤) ان له ابنة اسمها لبابة ايضاً .

ابو نواس في مصر

متى سافر ابو نواس الى مصر ؟ هذا مالا يمكن تعيينه بالضبط ،ولكني اميل الى الاعتقاد انه ذهب اليها في النصف الثاني من خلافة هرون الرشيد ، وربما بعد نكبة البرامكة ايضاً . لقد حاولت ان اعين تاريخ ذلك فلم اظفر بمرجع فيه ما اردت فالطبري مثلا لا يذكر الخصيب مطلقاً ومثله غيره .

نحن نستنتج من قصائد ابي نواس في الخصيب ان الشاعر افتقر ومال عنه الرشيد ،وانقطع عنه ما كان يناله من البرامكة — على افتراض ان الرحلة كانت بعد نكبتهم — فذهب يستجدي الخصيب ، وفي ديوانه ابيات كثيرة تدل على فقره — في ذلك الحين — منها :

ان دام افلاسي عـلى ما ارى هجرت اخواني واصحابي

وبعت اثوابي ، وان بعتهـا بقيت بين الدار والبـاب

وعاتب الفضل بن الربيع (وزير الرشيد بعد البرامكة) فقال :

عنيت بركب البرذون حتي اضر الكيس اغـلاء الشعير

ذهب ابو نواس الى الخصيب ،ونحن لانعرف عن هذا اكثر من انه كان على ديوان الخراج في مصر، فانشده «اجارة بيتينا ابوك غيور » ثم انشده غيرها من قصائد او مقاطع ، ولكن مُقامـه في وادي النيل لم يطل بل رجع الى بغداد بنحو ثلاثه آلاف دينار . اما الرشيد فلم يكن مسروراً بهذه الرحلة، على الارجح، فاخذ ابانواس بقوله :

فان يك باق افك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

وزعمه يتهكم في ذلك على موسى عليه السلام [١] ، فامر ابراهيم بن نهيك (وكان على الشرطة) ان يقتله ، ثم اجّله ثلاثة ايام . ثم ان الامين ابن هرون الرشيد ، تهدد ابراهيم ان هو مس ابا نواس بسوء ، فبقي ابو نواس عند ابراهيم حتى مات الرشيد [٢] .

طريق ابي نواس الى الخصيب

فيما يلي تجد الطريق التي سلكها ابو نواس من بغداد الى مصر كما يرويها هو بنفسه :

رحلن بنا من عُقرقوف وقد بدا مـن الصبح مفتوق الاديم شهيرُ

فما نجَدَت بالمـاء حتى رأيتهـا مع الشمس في عَيْني أُباغ تغورُ

---

(١) ابن منظور ١ : ٢٤٠ التعليق .

(٢) الفخري ١٥٧ ؛ قارنه بما في الطبري ٣ : ٩٥٩ .

وغُمرّن من ماء النقيب بشربة وقد حان من ديك الصباح زمير
ووافين إشراقا كنائس تدمر وهن الى رُعن المدخّن صور
يؤمن اهل الغوطتين كأنما لها عند اهل الغوطتين ثؤور
واصبحن بالجولان يرضخن صخرها ولم يبق من أجراحهن شطور
واصبحن قدفوّزن من نهر فطرس وهن عن البيت المقدس زور
طوالب بالركبان غزة هاشم وفي الفَرَما من حاجهن شقور
ولما اتت فسطاط مصر اجارها على ركبها ان لا تزال مجير

(الديوان ،مصر ،ص١٠٠)

ابو نواس والامين

كان في الامين شيء من الميل الى اللهو ، الا ان رأينا في ذلك يجب ان لا يتأثر باقوال المتحاملين على هذا الخليفة فنغرق في الادعاء ونقسو على الرجل في الحكم . كان ابو نواس ينادم الامين ويسامره وكان اذا ظهر منه في اثناء ذلك شيء من التفريط في الدين او الادب او القومية في هجاء العرب سجنه مدة ثم اطلقه ، وقد حبسه الامين ايضاً آخر مرة مدة طويلة واهمله حتى ظن الشاعر ان لانجاة له فقال مقطوعة في اخرها :

اما الامين فلست ارجو دفعه عني ، فمن لي اليوم بالمأمون ؟

وكان بعد ذلك لابي نواس في الامين هجاء غير هذا . والامين يشتط في معاملة ابي نواس لان رجال حزب المأمون في خراسان استعملوا في الدعاية ضد الامين اشعار ابي نواس في الخمر والمجون يقولون انها « شعر شاعر الخليفة» ويحاولون ان يبرهنوا بها على فسق الامين، وبهذه الواسطة كانوا يحاولون ان يدعوا الناس الى خلعه من الخلافة .

هاجت الفتنة الآن بين الامين والمأمون واخذت سلطة الامين تقل والامر يذهب من يديه ، وفي إبّان ذلك اعتذر ابو نواس عن قوله وعمله ، وكان الامين قد احتاج الى نديم يؤاسيه فغفر لشاعره واخرجه من السجن [١] .

موت الامين

قتل الامين حسب رواية الطبري سنة ١٩٨ للهجرة ، اما ابو نواس فاختلف في موته بين سنة ١٩٠ و ١٩٩ هـ (٨٠٦ — ٨١٤ م) وربما استناداً الى هذا لايورد الطبري مرثية لابي نواس في الامين مع انه ملأ عشر صفحات من تاريخه برائي الشعراء [٢] ، الا اننا نحن نعلم لابي نواس مرثيتين في الامين . لهذا نرجح ان ابا نواس مات بين ١٩٨ و ٢٠١ هـ اي بعد ان قتل الامين (اخر محرم ١٩٨ هـ/اياول ٨١٣) وقبل ان يدخل المأمون الى بغداد .

موت ابي نواس وسببه

يلوح لنا ، مما اجمع عليه اكثر مورخي الادب ، ان ابا نواس توفي سنة ١٩٩هـ ، اما موته فمن المستبعد ان يكون طبيعياً .

لقد عهدنا ابا نواس في صباه غلاماً ابيض ازهر حسن الوجه بض الجسم فاذا به يدركه الهرم والشيب باكراً ويقبح وتتكسر قواه قبل ان يمضي من حياته شيء كثير ، يبدو لنا ذلك من قوله في نفسه « وان كنت ذا قبح فاني

---

(١) الطبري ٣ : ٩٦٢ — ٩٦٦ .

(٢) مثله ، ٣ : ٩٣٩ — ٩٤٩ .

شاعر » او :

« من خشوع ازينه بخضوع واصفرار مثل اصفرار الجرادة »

وليلاحظ ان الاخيرة قيلت بعد مدة من سجنه .

ثم ان زهد ابي نواس زهد رجل « شبع من المعاصي وشبعت منه » كما يقول هو نفسه . اضف الى ذلك كله قوله في رحمة بن نجاح :

قد سلني حبك حتـ ـى صرت مثل القصبة [١] .

ثم قوله في احدى زهدياته :

دب في السقام سفلا وعلواً واراني اموت عضواً فعضوا

ثم قوله ايضاً في محل آخر في سياق بث شوق :

يا ويح اهلي افنى بين اعينهم على الفراش ولا يدرون مادائي!

هذه الاوصاف وتلك الابيات تدلنا على ان ابانواس مرض قبل وفاته مرضاً فتاكا ، ربما كانوا يجهلونه في ذلك الوقت وليس بكثير ان يمرض رجل يقضي حياته في الفسق والفجور وشرب الخمر بمرض مثل هـذا ، ولكن ما هو ذلك المرض ؟

هنالك افتراض اخر . ان ابا نواس هجا ال نَوْبَخْت (او نَيْبَخت) وهم افراد عائلة مشهورة ، وليس من المستبعد ان يكونوا قد دسوا له سما فمات من تأثيره بعد حين . ومات ابو نواس في بغداد ودفن في مقبرة الشونيزي في تل اليهود غربي المدينة [٢] .

---

(١) ابن منظور ١ : ١٩٨

(٢) ابن خلكان ١ : ١٣٦ ، راجع معجم البلدان تحت « الشونيزية » وتاريخ بغداد للخطيب ٧ : ٤٤٨ — ٤٤٩

فلسفته ومذهبه في الحياة

اعتقد ابو نواس ان الحياة فرصة ، على المرء ان يغتنمها ويتمتع بما فيها من ملذات ، ولا يدعَ شيئاً ما يحول بينه وبين لذته . ومع كل هذا فهو لم يتستر بل كان مستهتراً في كل عمل يعتقد انه يجلب له اللذة الجسدية دون تردد او وازع او زاجر ، لايهتم لعذل من حوله او لشعور من يعايش بينهم .

قوميته ودينه

لم يكن ابو نواس ، من جهة الام على الاقل ، عربياً ؛ فلا بدع ، اذن ان رأيناه يميل الى الفرس ميلة واحدة . انه كان يمقت الاعراب ويستهجن عيشتهم في البادية ويفضل على ذلك المعيشةَ حسب الثقافة الفارسية—اليونانية، عيشة ترف وحضارة ولهو ، وربما كان شعوبياً يفضل الفرس على العرب .

اما دينه فكان متيناً في اساسه يعتقد بالله ورسوله اعتقاداً لا يزعزعه شيء ، ويثق بعفو الله ثقة تامة كانت تحمله على اتيان كل انواع المنكر ، ثم هو يعتمد بعد ذلك على عفو الله الواسع . ولكن ابا نواس لم يكن يأتي الفرائض الا مكرهاً اذا اضطر ، فلا الصلاة ولا الصيام كانا من رأيه في شيء ، ولعل الناس رموه بالزندقة من اجل ذلك ، لانه كان ينتحل لنفسه اعذاراً ويحاول ان يقيم حججاً على تبرير نفسه ، ويلقي الى الناس بفلسفة خاصة . . . .

الفصل الثاني

ابو نواس الشاعر

سُئلْتُ عن طبقة من تَقدمني من الشعراء
وعلوت عن طبقة من معي ومن يجيء بعدي
فانا نسيج وحدي : ابو نواس

ما هي العناصر التي اثرت على حياة ابي نواس ووجهت ميوله الى الناحية التي برز فيها ، وتفوق بقوتهـا على من كانوا حوله ؟ وما هي العوامل التي اعطتنا هذا الشعر الذي بز به ابو نواس اقرانه ، ومن اين استمد هـذا الشعرُ مميزاته ؟

١. والبة استاذ ابي نواس

مما لا ريب فيه ان والبة بن الحباب ، استاذَ ابي نواس ورفيقَ صباه ، هو الذي جعل مذهبَ ابي نواس في الشعر ، كما في الحياة ، يتبلور حول ما اشتهر به شاعر هرون الرشيد . لو لم يلاق ابو نواس والبةَ ويتخرّجْ على يديه لما عرف عنه مثل مذهبه ، ولكن هذا لا يعني انه لم يكن لينبغ في الشعر ، لان القوة الشعرية فيه كانت كامنة لا تحتاج الا الى صقل صحيح وقدح .

من يدري ؟ ربما كان ينشأ ابو نواس ، لو لم يتصل بوالبة بن الحباب ، نشأة شاعر عفيف كما نشأ مروان بن ابي حفصة [ت ١٨١ هـ] والعباس بن الاحنف [ت ١٩٢ او ١٩٣ هـ] او ابو العتاهية على الاقل .

٢ . رواية ابي نواس

وَلِعَ ابو نواس بشعر الوليد ابن يزيد ، الخليفة الاموي، كثيراً وأعجب به ، وتأثر بما نظمه الاخطل ، وكأنه قد نفذ من خلال هذين الى شعر عدي بن زيد ، او انه اطلع عليه هو ، فاحكم النظم في الخمر ؛ اما انه رَوى شعر استاذه والبة في المجون والغزل فهذا ما لا يحتاج الى برهان في اثباته ، ولا شك عندنا انه مال في الرواية ، والحفظ الى مثل هذين البابين في الشعر ، مع العلم انه قد روى غيرهما ، ايضاً ، كثيراً .

٣ . حياته في البصرة والكوفة وبغداد

لم تكن حياة ابي نواس في البصرة حياة شريفة كما يخبرنا ابن منظور [٤٩ — ٥١ ، ٩٧] فكان يصحب فيها المجان والفساق والمخنثين ، ثم انتقل مع والبة الى الكوفة فاتصل هنالك باناس لا خلاق لهم في الدنيا والآخرة [راجع ابن منظور ص ١٢] ، بعد آن جاء الى بغداد متأثراً بما عرف عنه في البصرة والكوفة ، فصحب فيها ايضاً اناسا على شاكلة الذين عرفهم من قبل ، وكانت اقامتهم جميعاً ، في ضواحي بغداد يشربون الخمر في الحانات السرية بعيدين عن اعين رجال الشرطة .

٤ . الثقافات المتمازجة في بغداد

كانت بغداد ملتقى شعوب الامبراطورية العباسية تتمازج فيها الثقافات المختلفة وتتنازع فيها المذاهب المتباينة ، فلا بدع ان كان شعر الشعراء ، وشعر ابي نواس خاصة لما له من المقدرة التي رأينا ، مرآةً لهذه الصور المتلائمة المتنافرة ، او لبعضها على الاقل ، في نسب مختلفة . من اجل ذلك يرى

القاريء ابواب الشعر في ديوان ابي نواس كثيرةً ، حتى ان هـذه الابواب نفسها تنقسم في حقيقتها الى نواح عدة ، فهذا وصف فارسي ، وتلك فلسفة اغريقية (يونانية) وهذا مديح في صورة صادقة للبداوة — مع كره شاعرنا لكل ما في البادية وكل ما يروى عنهـا — هنالك ، في شعره ، وصف المساجد والكنائس ، وصف للخمرة والعبث ، وصف للحدائق والازهار ؛ هنالك جدل في الدين بحث فيما بعد الموت ، بحث في المغفرة والعفو في الاخرة ، صور كانت كلها مثار ابحاث جميع الطبقات في البيئة العباسية ، ولذلك شاع شعر ابي نواس وخمل مع شيوعه ذكر شعراء كثيرين لا يقلون عنه مقدرة وشعراً .

****

اتصل ابو نواس بهرون الرشيد وابنه الامين من بعده ، وكاد ان يكون شاعر البلاط العباسي في ذلك الحين انْ لم يكنْهُ ، فاستمد من ذلك قوة مادية وقوة ادبية مكّنتاه في وقت واحـد من متابعة لهوه وفتكه ومن الاحتفاظ بمركزه الادبي والشعري في ظلال بني العباس . ومع ان ابا نواس لم يكن شاعر البرامكة فقد نال منهم على ما يظهر عطاء جزيلا ، فكانت مدائحه فيهم على نسبة ذلك .

هذه ناحية عظيمة جـداً اكرهت ابا نواس على الظهور بمظهر جِدّي فاصبحنا الآن نعرف مقدرته في الجد كما عرفناها في الهزل . هذه مدائحـه في الخليفتين ، هذه المناسبات التي قال فيها شعراً يتعلق بالرشيد او الامين ، او بغيرهما من اعضاء البيت المالك او العائلة المستوزرة لا اسفاف فيه ولا هُجْر ، بل كثيراً ما كان يفتتح مدائحه بوصف الاطلال وسير النوق في البيداء وهذا ما كان يكرهه في سائر ابواب شعره ، ويحاربه في كل مناسبة ،

ويتهكم على مريديه ومحبيه .

لا نكران ان نفس ابي نواس كانت تنزع دائماً الى الهزل فيمجن في اثناء مديح او يتغزل في غير تحفظ ولكن هذا قليل ، ولو كان كثيراً لكان غير مستغرب، الا ان الذي يهمنا ان حياة الحسن بن هانئ في بلاط بغداد حفظت لنا في اكثر مدائحه ومراثيه ناحية الجد من نفسه، ولولا ذلك لكانت كل دراسة لشعره ينقصها ، فيما ينقصها ، هذه الناحية .

اثره في شعره

قد ننسب الى ابي نواس اكثر مما يستحق لو قلنا انه ابتدع اكثر ابواب ديوانه ، واشهر هذه — نسبة اليه — الخمريات والغزل المذكر والمجون . مما لا شك فيه انه بز في هذه الابواب كل من سبقه وكل من تحداه من الذين عاصروه او جاؤوا بعده . ان ابا نواس مسبوق ايضاً الى النظم في الزهد، ومع ذلك فقد كان شعره في هذا الباب ارفع من شعر الزهاد الحقيقيين درجات .

صراحته

لم يكن ابو نواس كاذبا ولا منافقاً ولا مدعياً ، بل كان مصوراً ماهراً ومعبراً ، عما يجول في ضميره ، قديراً ، تأثر بالبيئة البغدادية ، او العراقية على الاصح ، فراح يصور حسناتها وسيئاتها وهو الى الثانية أميل فاذا شعره ملآن بالنزعات التي كانت دائمة الثوران في نفسه . وكان — وتلك مزية له — لا يبالي بما يقوله ما دام يعتقد به او يأتيه فلا يخشى مؤثراً ولا ينهزم امام مؤنب ولو كان ذا سلطان . لم يكن ابو نواس ينظر الى ما يعمله الا من ناحية واحدة ، ناحية عاطفته لا يبالي بوقع اقواله على غيره ولا بتأثرهم من

اعماله ، ومن ابرز الامثلة على هذا قوله في جارية ربا خافت الفضيحة به : —

انا اهواك فموتي كمداً انني لست مبال احداً

[ربا « غير مبال احداً » حتى يستقيم الاعراب .]

ثروته الشعرية

ثروة ابي نواس الشعرية عظيمة جداً ، فلو اضفنا الى ما درسه من علوم الدين واللغة ، ما حفظه من الشعر لادركنا حالا قوة تلك الذاكرة التي روي انها وعت شعراً لستين امرأة غير الرجال ، ووعت للرجال على نسبة اهميتهم الى اهميتهن . وقيل كان من ثروتها الف قصيدة وارجوزة ما بين طويلة وقصيرة منها سبعمائة لا تعرف (ابن منظور ٥٤ — ٥٥) .

انا اميل معك اذا قلت ان في هذا شيئاً من المبالغة واوافقك على حذف ثلث هذا العدد او نصفه اذا شئت ، ولكنك سترى مما سيبقى انه كان ثروة طائلة . ثم لماذا نعتقد بالمبالغة فيما روينا عن رجل كانت الذاكرة تقوم في عصره مقام الطباعة في عصرنا ، وذاكرة ابي نواس على ما وصل الينا لم تكن ذاكرة خاملة .

كيف كان ينظم

ينظم الشاعر في حالات متعددة ، ولكن يجب ان يكون كل منها بعيداً عن مألوفه فالراحة والرفاهية والسرور او اليأس والشقاء والحزن من العوامل الفعالة في اثارة نفس الشاعر . انني ، شخصياً ، لا اعتقد ان هنالك شعراء كثيرين ينظمون وهم في حالة نفسية طبيعية ، اينما كانوا او كلما سئلوا ؛ حتى ان هؤلاء ، على فرض وجودهم بقلة او بكثرة ، لا يمكنهم ان يدّعوا

ان ما ينظمونه شعر جيد ، هذا اذا تساهلنا وسميناه شعراً ، وما كان ابو نواس عن ذلك شاذاً .

سئل ابو نواس عن وقت نظمه الشعر فقال « لا اكاد اقوله حتى تكون نفسي طيبة واكون في بستان مونق ، وعلى حال ارتضيها من صلة (بمال) أوصَل بها او وعد بصلة ؛ وقد قلت وانا على غير هذه الحال اشعاراً لا ارضاها (ابن منظور ٥٥) » .

ليست اعادة النظر فيما ينظمه الشاعر امراً غير عادي ؛ الا يعتقد الكثيرون منا ان زهير بن ابي سلمى كان لا يخرج القصيدة الا بعد ان يمر على نظمها حول كامل ينقحها في اثنائه برأيه ورأي اصحابه ؟ ومثل هذا روي عن كثيرين . اما ابو نواس فكان ينظم اكثر من خمسمائة بيت في العام ولكن في مقاطع صغيرة واعتقد ان اطول قصيدة له تبلغ نحو اربعين بيتاً ، وتلك واحدة ، وهنالك بضع في الثلاثين وكل مابقى فدون ذلك . من هنا يظهر لنا انه كان اذا نظم قصيدة اعاد فيها نظره وحذف من ابياتها مالا يرضاه ولو احتاج الى معناه (راجع ابن منظور ص ٥٥) . ولقد اثبت اسكندر آصاف ، في ديوان ابي نواس ، قصيدة تنيف على سبعين بيتاً مطلعها :

الى كم اذل الدهر من متعزز وكم ذم من انف حمي وكم حطم
وكم نقمة ابدى وكم غبطة طوى وكم سيد اهوى وكم عروة فصم

وفي هذه القصيدة ابيات تبدأ هكذا : رعى مارعى ، نجا مانجا ، بقي مابقي بجانب قرائن اخرى تحملنا كلها على الشك في نسبة هذه القصيدة الى ابي نواس ؛ انها بعيدة جداً عن روحه واسلوبه معاً ، وقد يصح القول ان فيها تحريفاً او تصحيفا كما يقول جامع الديوان ، ولكن هذا لا يمنع من رؤيتنا سقامة

التعبير وغثاثة التشبيه والكناية سائدةً جُلّ الابيات، — هذا حتى لا نصدر حكما على جميع الابيات — ، فاقرأ منها البيتين التاليين وانظر بُعْدهما عن روح الحسن بن هانيء :

وقد كان خطاف الخطاطيف ضيغما اذا ساهم الاقران عن نفسه سهم
وضيا هضيما بعد عز ومنعة، ومن ضامه من لا يطاق فلم يضم ؟

وحسبك دليلا على الشك فيها انها لم توجد الا في نسخة واحدة ولا عرف فيمن قيلت ، وهكذا كان ابو نواس شاعراً قصير النفس يمدح خليفة بخمسة ابيات ويرثي خليفة باربعة . اما نظمه فكان معتدلا لا هو بالسريع ولا بالبطيء : يستغرق فيه وقتا على نسبة معتدله . اذن ، اذا كانت حياةُ ابي نواس الشعرية هذه او قريبا من هذه فلا نُكْرَ إنْ اجمع علماء اللغة ونقاد الادب على انه شاعر مقدم ؛ ولو اردت ان اسرد ما قاله هؤلاء فيه لطال عليّ السرد وشق عليك الاحصاء ، الا انني ذاكر ما لا بد من ذكره في تفصيل معقول .

مقدرته الفنية

ابو نواس شاعر مُحْدَث مُوَلّد — عباسي غير عربي — عرفت اشعاره بالسهولة فهو لا يلجأ الى كلمة نافرة ولا الى تركيب معقد ؛ يأخذ معانيه من متناول يده لا تراه يغوص عليها ولا يتقعر في سردها ومع ذلك فشعره متين لا ضعف فيه يضع الكلمة في موضعها من البيت ويسوق البيت في مجراه الطبيعي من التركيب ، حتى قال ابن خالويه (نحوي ت ٣٧٠ هـ) « لولا ما غلب عليه من الهزل لاستشهدت بكلامه في كتاب الله تعالى » . وكان قريباً من هذا القول قولُ ابن الاعرابي (لغوي ونحوي مشهور ت بين ٢٣٠ —

٢٣٣ هـ) . اما الادباء فلم يقرنوا به من المعاصرين له او من المتأخرين عنه احداً ، فهو عندهم امام الشعر العباسي صقل اكثر مبانيه وابتكر احسن معانيه ، وجود منها خاصة ماقاله في الخمر والمجون حتى سارت اشعاره على كل لسان وشاعت في كل ناد وسمر . ثم شهد له زملاؤه بالتقدم ، على ما يمكن ان يكون بينهم من المنافسة فاذا العتّابي (احد شعراء البرامكة) يقول : « والله لو ادرك الخبيث (اي ابو نواس) الجاهلية ما فضل عليه احد » ، وحقق هذه الأمنية ابو العتاهية اذ سئل عن اشعر الناس ، منذ الجاهلية الى ايامه ، فقال « ابو نواس » ؛ اما ابو تمام فقد احب شعر ابي نواس وشعر مسلم بن الوليد حتى كفر في حبهما فقال : « ابونواس ومسلم بن الوليد اللاتُ والعُزّى وانا اعبدهما » (تجد تفصيل شهادات الادباء والشعراء في ابي نواس في كتاب اخبار ابي نواس لابن منظور ص ٥١ — ٧٥) .

لو القينا نظرة سريعة على قوافي ابي نواس لالفيناها كلها تقريباً غير شاذة تتمم معنى البيت حتى انه ليكاد ان لا يتم بغيرها ، والقوافي محك الشاعرية ، منها يعرف السابق المطبوع والمتعثر المتكلف .

هذه مزايا خالدة حتى اليوم ، ولقد اضاف المتقدمون اليها مزايا اخرى تلائم اذواقهم وبيئتهم ربما لا نوافقهم عليها ، لا لانهم غير مصيبين بل لانها هي لم تعد توافق اذواقنا . وجملة القول ان مقدرة ابي نواس الفنية كانت عالية : فلقد حفظ اللغة واتقن الصناعة الشعرية ، ثم مضى يبتكر لنفسه حتى اجاد وابدع ، ويظهر لنا هذا على اشده في الخمريات والغزل المذكر ، فاذا اخذ رأيك فلا تفضل عليه في هذين البابين احداً .

المنحول لابي نواس

اذا كان شعر ابي نواس يمثل احدى نواحي البيئة العراقية في القرن الثاني للهجرة فهذا لا يعني ان كل شعر يمثل هذه الناحية هو لابي نواس . هنالك شعراءُ كثيرون سبقوا عصر ابي نواس او تأخروا عنه ، وهنالك معاصروه الذين لم يشتهروا الا بما اشتهر هو به ، ولكنه كان اشهرهم فنحل من شعرهم وشعر غيرهم جهلا او عن علم . لقد كان كل مغنٍ او راويةٍ يجد بيتا في الخمر او المجون جميلا ينسبه الى الحسن بن هانئ . وقد نسب اليه ايضاً ابيات في الطرد (وصف الصيد وادواته وآلاته) والزهد . ولم يكتف الناس بذلك بل كانوا ينسبون اليه كل ما كان فيه اجادة وملاحة .

* * * *

لا ينكر دارس ان ابواب الشعر في ديوان الحسنِ بن هانئ متفاوتة في الجودة ولكن جيدها خير من جيد كل شاعر آخر، لا تستثنِ احداً ، واقلها جودة قد لا ينحط عن جيد اولئك كثيراً . وحسبنا ان ابا نواس شاعر مقدم يمثل لنا بشعره ناحية من البيئة العراقية ايام عنفوان الدولة العباسية ؛ متين البناء على مارأينا ؛ فذ الاسلوب ، لم يتمكن احد من مجاراته فيه ؛ قريب المعاني، لا يتكلف في ايرادها ولا البحث عنها . ولقد ابتدع في الشعر العربي ما اخذ به علماء الدين والاخلاق فخفض ذلك شيئاً من منزلته الادبية ، ولكن ذلك كله لم يمنع الناس من الاقبال على شعره ، بل خلق له عناصر جديدة دفعت الناس ، او بعضهم على الاقل ، الى ان يقبلوا عليه بشوق جديد .

****

الابيات الآتية نموذج من الشعر المولّد وصورة لنفس ابي نواس .
(وقيل هي لوالبة بن الحباب قالها في ابي نواس) :

يا شقيق النفس من حَكَمِ ... نمت عن ليلي ولم انمِ (١)
فاسقني البكر التي اختمرت ... بخمار الشيب في الرحم (٢)
ثمتَ انصات الشباب لها ... بعد ما جازت مدى الهرم (٣)
فهي لليوم الذي بُزلت ... وهي تِرب الدهر في القدم (٤)
عتقت حتى لو اتصلت ... بلسان ناطق وفم
لاحتبت في القوم مائلة ... ثم قصت قصة الامم (٥)
قرعتها بالمزاج يد ... خلقت للسيف والقلم
في ندامى سادةٍ زهر ... اخذوا اللذات من امم
فتمشت في مفاصلهم ... كتمشي البرء في السقم (٦)
فعلت في البيت اذ مزجت ... مثل فعل الصبح في الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها ... كاهتداء السفر بالعلم (٧)

---

(١) حكم قبيلة ادعى ابو نواس انه اسحاق نسبه بها (٢) يكني عن الخمر التي تغطت بالزبد (الشيب) في الدن (الرحم) . (٣) رجعت اليها قوة الشباب بعد ان مر عليها زمن طويل . (٤) اخرجت اليوم من الدن ولكنها قديمة قِدَمَ الدهر .

(٥) احتبى جلس على عجزه وقدميه رافعا ركبتيه ثم شد ساقيه الى ظهره بعمامة او نحوها ، وهذا كناية عن الاخلاد الى الراحة والسكينة ، وقد لا يتعب الجالس على هذه الصورة ، والذي يظهر ان هذه كانت عادة للقصاص .

(٦) لقد كسب هذا التشبيه لابي نواس نصف شهرته في الخمر .

(٧) السفر (بفتح السين وسكون الفاء) جماعة المسافرين والعلم هنا العلامة التي توضع على الطرق بين البلدان لقياس المسافة وتحقيق الاتجاه

الفصل الثالث

دراسة شعر ابي نواس ونقده

اذا احببت ان تنقد قطعة ادبية تحتم عليك ان توجد لذلك اساساً ثابتاً تتمشى عليه ، فلا يكون في كلامك شيء من الجَوْر في الحكم ولا من المناقضة في الرأي . ومع العلم بان النقد هو اظهار حسنات « القطعة الادبية المعطاة » وسيئاتها من حيث معناها ومبناها ومرماها ، ولا شيء سوى ذلك ، فلا يمكن للناقد ان يكون منصفاً الا اذا نظر الى تلك القطعة كما كان ينظر اليها معاصرو صاحبها ؛ وعلم بما احاط بظهورها من العناصر ، وما تنازع نفس صاحبها من العوامل . ثم اذا هو احب ، نظر اليهـا في نور مقاييس الانتقاد الحاضرة ، فيعلم حينئذ ، بالنقد الاول قيمة تلك القطعة الحقيقية ؛ ويعرف بالنقد الثاني درجتها في مراتب الخلود .

* * *

يبلغ عدد الابيات في ديوان ابي نواس ثلاثين الفاً [الفهرست ص ٢٢٨ سطر ٨ ، قارن ذلك بما جاء في ص ٢٢٧] تقع في احد عشر باباً ، ولكنني ساجعلها هنا سبعة اقسام فقط ليسهل نقدها : ١) المديح والرثاء ٢) الهجاء ٣) الصفات والطرديات ٤) العتاب والنسيب ٥) الخمريات ٦) الغزل المذكر والمؤنث والمجون ٧) الزهد والادب والفلسفة .

١. المديح والرثاء

على مديح ابي نواس صبغة يصح ان يقال انهـا بدوية ، وفي بعضه تكلف وصناعة ، ومن هذه الناحية فقط يختلف مديحه عن سائر ابواب شعره . لقد اضطرّ ابو نواس ان يصل الى عقلية ممدوحيه ليستدر اكفهم ، وعقلية الممدوحين لم تزل يومذاك شديدة التأثر بالشعر القديم ، تطرب الى صفات البادية وتهزها الوانُها . ابو نواس شاعر ناقم على الاساليب القديمة [كما سيأتي] ولكنه مرغم على الالتجاء اليها فلا غرو ان ظهرت موسومة بطابَع التقليد والصناعة ، لانه كان يمدح طلباً للارتزاق . اما عاطفته في هذا الباب فكانت تتكيف حسب ارباحه من ممدوحيه ، فربما مدح الرجل ثم هجاه ، او هجاه ثم اعتذر اليه ومدحه ، كل هذا سعياً وراء المال الذي كان يصرفه على الخمر واسباب اللهو .

ممدوحو ابي نواس غير قلائل ، منهم هرون الرشيد وابنه الامين اللذان قال فيها جزءاً كبيراً من مدائحه ، ومنهم من اهل البيت العباسي ، العباسُ بن عبيد الله بن ابي جعفر المنصور ، والحسين بن ابي جعفر . ومدح ابو نواس ايضاً رجال الوزارة من البرامكة ومدح آل الربيع الذين تولوا الوزارة بعد البرامكة ، ثم انتجع الخصيب الى مصرَ .

يظهر لنا ان ابا نواس املق في بعض ايام حياته فتقرّب بشبه مديح الى طبقة غير محترمة في الهيئة الاجتماعية ، كان من افرادهـا مولى ام جعفر (البرمكية) والحسينُ الخادم ، مولى امير المؤمنين هرون الرشيد ، واخو الحسين ايضاً .

قد يعجب القارئ اذا علم ان ابا نواس لم يُجِدْ في مدح الخليفتين اللذين عاش في كنفهما حياته ؛ ثم اذا نحن نسبنا المديحين الى بعضهما وجدنا الذي في الامين خيراً من الذي في الرشيد عموما وذلك لان صلة الشاعر بالخليفتين كانت مختلفة ، فهي بالرشيد رسميةٌ ، وبابنه صلة صداقة ومنادمة . اما مايعجبنا في المديحين كليهما فالوصف الذي فيهما ، لا الصفات التي يخلعها المديح عليهما .

توفق ابو نواس في مدح الخصيب ، امير مِصر ، الى حد بعيد لانه كان يأمَل ان ينال منه مالا كثيراً ، وقد نال منه نوالا غير دائم فانقلب عليه يهجوه ويذم مصرَ وساكنيها .

يقول النقاد ان قصيدتي ابي نواس « ايها المُنتابُ من عفرهْ » في العباس ابن عبيد الله بن ابي جعفر ، و« بلدةٍ فيها زَوَرْ » في الفضل بن الربيع هما من خير قصائده في المديح وربما في غير المديح ايضاً ، ويلحقون بهما قصيدة الخصيب « اجارةَ بيْتَيْنا ابوك غيورُ » [راجع الكامل للمبرّد : المطبعة الازهرية — مصر ، ج ٢ ص ١٥ ؛ ابن منظور ج ١ ص ١٦١، ٢٣٥؛ ٧٨] . اما الأُوليان ففيهما غريبٌ من المفردات ومتانة في التركيب ، وهاتان لا تفهمان بدون الرجوع الى القاموس عند كل بيت او بيتين ، اما الثالثة فهي على مستوى ادني من مستوى القصيدتين السابقتين ، ولكنها اقرب الى الحضارة في تراكيبها والوانها منهما .

* * *

المديح الغزلي

المديح الغزلي ان يمدح الشاعر واصفاً جمال الممدوح ، وهذا نوع وجد منه بضعة ابيات في الشعر الجاهلي والشعر الاموي (وقد كنت كتبت عن ذلك شيئاً في جريدة الاحرار ١٨ كانون الثاني ١٩٣٢) يصف المادح وجه الممدوح وجبينه الخ . ويظهر لنا ان ابا نواس اختص ممدوحاً واحداً بهذا النوع : محمد الامين ، فما قال فيه :

تحسنت الدنيا بوجه خليفة ... هو الصبح الا انه الدهرَ مُسفِرُ
يشير اليه الجود من وجناته ... وينظر من اعطافه حين ينظر

. . .

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الاوهام
ملك اغر اذا شربت بوجهه ... لم يعدك التبجيل والاعظام

لاحظ « اذا شربت بوجهه »

. . .

قد ينقص القمر المنير اذا استوى ... وبهاء وجه محمد لا ينقص

. . .

قد اصبح الملك بالمنى ظفرا ... كانما كان عاشقاً قدرا (؟)
حسبك وجه الامين من قمر ... اذا طوى الليل دونك القمرا

وله اشارة واحدة مثل هذه في الرشيد [1]

---

(١) راجع الفصل الرابع « الغزل المذكر »

الرثاء قليل في ديوان ابي نواس جداً ، وهو يمتاز بعاطفة قوية تجنح بالشاعر احياناً الى المبالغة . لا شك عندنا ان الحزنَ لم يكن مذهبَ ابي نواس ، ولكن هذا لا يعني انه كان بلا عاطفة فلقد رثى استاذيه والبة بن الحُباب وخلفاً الاحمر رثاءَ مُخلصٍ فاجادَ ، وله غير ذلك ابيات معدودة في الامين [1] ومثلها في البرامكة .

اسلوب ابي نواس في المدح والرثاء اسلوبٌ عربي خالص ولكنه يجري على غير سليقة . اما مفرداتهما فتكاد تكون بدوية على نحو ما نرى في شعر المدّاحين الرثّائين . ولو احببنا ان نقارن هذه المدائح او المراثي بما قيلَ من قبلُ ومن بعدُ لظهرت هزيلة .

٢. الهجاء

نحن الآن نقترب من شاعرية ابي نواس الحقيقية ، لان الهجاء عنده متينُ التركيب خَشِنٌ ، لاذعٌ قاس حاضر النكتة . ان ابا نواس لم تمر به فرصة ولا مناسبة استطاع ان يعرّض فيها بمن يهجوه ويتهكم عليه ويحمل السامع او القاريءَ على مثل هذا التهكم الا انتهزها . وانك لترى ابا نواس لا يتعفف عن ذكر ما يُستَقْبحُ ولا يتورّعُ عما يُكْره في اللفظ او المعنى اذ اضطُرّ الى ذلك ، وهو لا يعرف حرمة لاحد فقد هجا العباسية اخت الرشيد ، وهجا البرامكةَ ايامَ دولتهم ، وهجا العرب ، والعائلةُ المالكة

---

(١) راجع بعض مراث في الامين في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ليدن) ص ٥١٧ .

منهم ؛ وكان فوق ذلك يهجو كل من لا يلائم ذوقَهُ ولو بغياً بغير حق .
واذا قسمنا هجاء ابي نواس وجدناه ينقسم الى قسمين كبيرين ، ربما انقسم كل منهما الى اقسام صغرى ، اولهما الهجاءُ القومي وثانيهما الهجاء الشخصي .

ابو نواس فارسي على ما علمنا ، ولكنه احب ان يندمج في العرب بالوَلاء — جرياً على عادة غير العرب في ذلك الحين — او بادعاء النسب ، ففشِل ، وانقلب الى هجائهم الا انه احب ان يحافظ على خط الرجعة فاختص بهجائه النزارية [عرب الشمال] ، ومدح اعداءهم الطبيعيين عرب الجنوب بني قحطان ، ولكن زمن الهجاء السياسي كان قد طوى خبره مع سقوط الدولة الاموية فلم يجدِ عمله نفعاً وخاب ظنه في اليمنيه ، بني قحطان ، ايضاً فاخذ يهجو الجميع .

عيّر ابو نواس الأعراب [سكان البادية] بأكلهم ومشربهم وملبسهم فقال « عيشهم جديب ، ونبتهم الطَلْح (نبات صحراوي لا يثمر وهو ذو شوك ، منه ما يعرف بشجر المسك) ، وصيدهم ضَبُع وذيب . . . فدع لهم الالبان واذا راب حليبهم فلا تَتحوّب من البول عليه » . وبعدئذ يمضي على مثل هذا التهكم المر فيقول عن بني تميم « اذا افتخر امامك تميمي فقل له : دع عنك هذا ، واخبرني كيف تأكل الضب ، » ثم اذا هو هجا الاعراب (او العرب اذا شئت) فانما يهجوهم بمثل هذه اللهجة القاسية : —

تبكي على طلل الماضين من أسد ، لادَرّ دَرُّك ، قل لي : «من بنو اسدِ ؟»
« ومن تميم ، ومن قيس ، ولفّهما ؟ » ليس الأعاربِ عند الله من احد .
لا جفّ دمعُ الذي يبكي على حجر ، ولا صبا قلب من يصبو الى وَتِدِ .

اما النوع الثاني من الهجاء فهو الهجاء الشخصي الذي يتناول اشخاصاً

متفاوتي المرتبة في الهيئة الاجتماعية فكان منهم وزراءُ الدولة وامراؤها ، ومنهم زملاء له ، ومنهم نكرات ازعجوه او لم يلائموا ذوقه ، ورفاق صبي هجروه او هَجَرَنَه ، وحسبك مثالا متوسطاً من هجائه قوله في احمد بن يسار الجُرجاني : —

بما اهجوك ؟ لا ادري . لساني فيك لا يجري .
اذا فكّرتُ في عِرْضِ لكَ اشفقت على شعري .

وقريب من مثل هذا في اللذع هجاؤه لاسماعيل بن سهل بن نوبَخْت

خبزُ اسماعيل كالوَشْيِ (م) اذا ما انشق يُرفَى

ويرى القارئ امثلة أُخرى في المختارات .

٣. الصفات والطرديات

ليس لابي نواس في غير الخمر وصفٌ يذكر ، وهو لم يصف غير الخمر الا عرضاً او في اثناء وصفها فكان من ذلك وصفُه الجامَ والنحل والنخل ، والديك ، والخيمة والعنكبوت ، ولكن هذه الاوصاف كلها لا تُعَدُّ ، في الجَوْدة او التفصيل ، شيئاً بالنسبة الى ما قال في الخمرة ، ولنترك الان البحث في وصف الخمر الى الكلام عنها .

هنالك نوع من الوصف في شعر ابي نواس يسمى الطرديات ، وهذه تَعْني الاشعار المنظومة في الصيد ووصف آلاته وادواته كالخيل والكلاب والبزاة والصقور ، او القِسِيّ والسهام ، والطرائد — ما يصاد — ، وان كان كثير من هذ الباب منحولاً لابي نواس فان فيه ما ثَبت له ونم عن مقدرة فنية كبيرة .

تكاد الطرديات في شعر ابي نواس تزاحم غزله في الجودة [وليس في الرقة طبعاً] لأن معاصري الشاعر كانوا يكبرون فيها الغريب من الكلام، والمتانة في التعبير والوان البادية، الوان كلها لم تعُد تستهوينا قط، ولكنا نحتفظ باعجابنا بها لقيمتها الحقيقية. ويخبرنا ابن منظور في اخبار ابي نواس (ص ٥٤) ان للطرديات المرتبة الثالثة في شعر الحسن بن هانئ كما قال هو نفسه عنها.

٤. العتاب والنسيب

في هذا النوع من شعر ابي نواس شيء من الجِدّ يسوده.

اذا عاتب الشاعر فهو اما مستنجزٌ وعداً او مُعَرِّضٌ بطلب صِلة، او لائمٌ صديقاً او رجلاً عالياً المنصِب بكلام رقيق. اما النسيب فهو، كما يبدو لنا من اكثر الاراء، اظهارُ الشوق وبثُّه. (انظر ص ٣٧).

لم يستعمل ابو نواس هذين البابين كثيراً لأن الأناةَ والتفكير الهادئ لم يكونا من ميله ولا في طباعه. انه مدح، وكان اذا استبطأ الصلة او استقلها تخطّى العتاب الى الهجاء. ومهما كان من الامر فان عتاب ابي نواس برز في ناحيتين — السجن وجِنان —. اما السجن فلأنه كان كثيراً ما يُحبس على شرب الخمر او على هجاء العرب، وكان الرشيد والامين يسجنانه على ذلك فاعتاد ان يتعطّفهما او يتعطف الوزراء ليشفعوا له عندهما، من ذلك انه لما قال قصيدته «وفِتيان صدق قد صَرَفت مَطيّهم..» قال منها: —

فجاء بها زيتيةً ذهبية فلم نستطع دون السجود لها صبرا.

سجن من اجلها فكتب الى الفضل بن الربيع يستعطفه ليشفع له عند الخليفة:

انت يابن الربيع الزمتني النسـ (م) ـكَ وعودتنيه ، والخيرُ عادهْ .

اما جنان فجارية قيل إنّ ابا نواس اخلص في حبها ولم تكن تواصله فكان يعاتبها ويتودد اليها ويستنجزها وعودها .

كان ابو نواس رجلا عملياً لم يشكُ حباً صحيحاً ولا اراده ، عائشاً في بيئة مات فيها الحب العُذْري وساد اتباع الهوى ، فلا عجب ان قلنا إن ابا نواس لم يحتج الى النسيب . لكن هذا لا يعني ان الشاعر الذي نتكلم عنه كان بلا عاطفة او ان الشوق لم يحرك نفسه ؛ لا ، ولكنه كان يجد دائماً منفذاً متسعاً لعواطفه الدائمة الثوران كلما شاء . إلا ان نفسه الامارة بالسوء كانت تنازعـه الى اناس ضرب بينهم وبينه بسور ، فكان من اجل هذا فقط ينسب ويتأوه . وفي الابيات التالية مثال فيه عتاب ونسيب :

يا قضيباً في كثيبِ تمّ في حسن وطيبِ
يا قريبَ الدار ما وصلُكَ مني بالقريبِ
يا حبيبي ، بابي ، أنسَ يثنى كل حبيبِ
لشقائي صاغَكَ الله حبيباً للقلوب

(راجع ص ٣٠)

٥ . الخمريات

هذا هو ابو نواس !

ابو نواس شاعر الخمر ، قال فيهـا اشعاراً لم يُقَلْ مثلها ، ثم هي احسن شعره [ابن منظور ص ٥٤] . ما اجاد في باب اجادته في نعتها .

كان قبلَ ابي نواس شعراءُ وصفوا الخمر كعَدِيّ بن زيد ، والاخطل ، والوليد بن يزيد ؛ ثم وصفهـا بعده كثيرون ولكن لم

يلحق احد من هؤلاء بغُبار ابي نواس في وصفها .

شرب ابو نواس الخمر ، ولقد كانت شغله الشاغل ، واختبر بنفسه حسناتِها وسيئاتها وعرَفَ لذتها ولقيَ إثامَهـا فهو اذن يصفها عن اختبار صحيح . وككل المُرتكبين ، كان ابو نواس يعرِف مضارّ الخمر وعقاب شاربهـا في الدنيا — إن ظَفِرت به شُرطة الخليفة سكرانَ — ، وفي الآخرة — لدى الله — ، وكان مع ذلك يشربها ، بل يدمن شربهـا حتى يأخذه السُكر ويشتد عليه .

لو نظرنا فيما ينسب من الخمريات الى عمرو بن كلثوم او عنترة او الى ما قاله غيرهم لوجدنا نعتهم للشراب نعتاً سطحياً لا يذهب الى ابعد من لونها وطعمها وكأسها وان فعل فالى اوصاف غير ذات خطَر ، ولكن الحسن بن هانئ كان يصف دوران الخمر على الشَرْب [الذين يشربونها معاً] ، بعد ان يستنفد وصف كرمها وعصرها وصُنعهـا ودنانها وكؤوسها ؛ ثم يصف طعمها ولونها ورائحتها ، ثم ينتقل الى وصف الشاربين فيصف تناولهم الكؤوس وبعدئذ يصف تأثيرهـا التدريجي بكل لباقة ودقة . ثم هو لا يكتفي بذلك ويعترف بذنبه ليحاول ان يتوب منه ، بل ينصب نفسه للدفاع عنها وعن نفسه ، ولا يكتفي بذلك ايضاً بل يدافع عن الذين يشربونها ويناصب من لا يشربُهـا العداءَ .

كان بودي — لاتمام الدراسة — ان آتي بدراسة مفصلة عن الخمر كما في شعر ابي نواس لولا ان ذلك يخرجني عن حدود هذه الرسالة ؛ على ان ما يلي ضروري لا بد منه .

اذا تركنا طريقة صنع الخمر — وهي ظاهرة جلية في شعر الحسن ابن هانيْ — وانتقلنا الى الكلام على الحانات وجدناها تقوم خارج بغداد ، او خارج اي مدينة اخرى ، وتكون عادة بين البساتين عند الانهار . اما عصابة ابي نواس وامثاله من معاصريه فقد احبوا ان لا يذهبوا الى الحانات الا مضطرين بل كانوا يأخذون زادهم من خمر وطعام وآلات موسيقية . . . الى مواضع ينتخبونها في الضواحي الجميلة البعيدة واذا لم يتيسر لهم ذلك ، او لم يتيسر لهم نزهة عمدوا الى بعض الدور واحضروا كل ما يهيء المكان لأن يكون نضيراً انيقاً من ازهار واغصان والوان . اما مكثهم في نزههم الخمرية او مُستَتراتهم فكان يطول احياناً حتى يبلغ شهراً وهم في سكر ولهو وقصف وعبث .

الخمر محرمة عند المسلمين ديناً ، ولكن الفُسّاق والمُجّان — وغير هؤلاء احياناً — كانوا يشربونها . اما صنعها وتجارتها فقد تركا لغير المسلمين من الروم او القبط او اليهود او المجوس الذين كانوا يهيئون الحانات ويجهزونها بجميع ادوات السكر واسبابه وآلاته .

٦. الغزل والمجون

اختلف العرب في معنى الغزل والنسيب فقال قوم انهما لفظان لمعنىً واحد ، وقال آخرون بل مختلفان ؛ ولكن هؤلاء ايضاً اختلفوا فيما بينهم على المعنى الذي يجب ان يطلق عليه كلٌ من اللفظين ، ولهذا السبب اود ان اخص بث الشوق بالنسيب ، واطلق كلمة « غزل » على وصف اعضاء المحبوب الظاهرة .

غزل ابي نواس رقيق مطرب وهو شعر حقيقي يعبر عن نفس

مختلجة وعاطفة صادقة لا ينقص من قيمتها انها وقتية . انها تصور المحبوب صورة تمتلك وعي القاريء وتسترعي انتباه السامع ، لقد حرص ابو نواس ، في جعل غزله رقيقاً ، على اختيار الفاظٍ فصيحة ، وتراكيب سهلةٍ بليغة فاخرج من مجموعها شعراً عذباً . وهذا الباب من الشعر عند ابي نواس في الدرجة الثانية من الجودة لانه يأتي بعد الخمريات مرتبةً (ابن منظور ص ٥٤) .

ينقسم غزل ابي نوس الى قسمين : الغزل المؤنث المعروف منذ ايام الجاهلية ، والغزل المذكر الذي شيعه الحسن بن هانئ — . لأنه لم يبتكره — .

اما القسم الاول فيكاد يكون معدوماً عند ابي نواس لقلته ، وكثيراً ما تراه يتغزل بانثى ولكن في لفظ مذكر حتى ليخيل اليك من كلامه انه يتكلم عن غلام . ومع هذا يمكننا ان نتعرف الى بعض الصفات التي كانت محبوبة في بيئة الحسن بن هانيء .

يظهر لنا من مراجعة ديوان الشاعر انه لم يتغزل الا بالقيان [الجواري المغنيات] والجواري [الخادمات المماوكات] وفتيات الحانات وهكذا نرى انه يصف طبقة من النساء مخصوصة .

انصرف ذوق المجان والخلعاء (بالعين المهملة) في العصر العباسي الاول عن العربيات ، فكانوا يفضلون عليهن الفارسيات والروميات من بني الاصفر (اليونان) واكثر صفات الفرس — ذكوراً وإناثاً — شدة بياض الوجه وشدة حمرته — مثل العاج والورد — ويتبع ذلك سواد الشعر الحالك . اما الروميات فكان في بياضهن صفرة اكثر من تلك

الموجودة في بياض الفرس — والبياض لا يكون جمالا الا اذا خالطته صفرة — . هذا الجمال الطبيعي كان يضاف اليه شيء من التصنع لأن الذين يصفهم ابو نواس كانوا يتزينون — ذكوراً وإناثاً — على زيّ واحد فكانت الاناث يطمرن (يقصصن على شكل متعارف) شعورهن فيسمّين حينئذ غلاميات ، ويعتربُ الجميع اقساماً من الشعر حول اصداغهم ، يجعاونها بشكل العقرب او على شكل « و » ؛ وقد يعصبون هذه الشعور بتيجانٍ او اكاليل من حرير او غيره ؛ وربما وضع الغلمان الاقراطَ والشنوف في آذانهم ، والخلاخيلَ في ارجلهم مشاركة للفتيات وسموا من اجل ذلك مخنثين .

هـذا غزل لم يشتهر به الحسن بن هانئ ، ولكنه اشتهر بالغزل المذكر . انه لم يبتدع الغزل المذكر وان كان هو الذي شيعه ووجهه الى نواحيه المعروفة التي استقر فيها فيما بعد . اننا لا نجد مندوحةً عن القول مع الزيات (تاريخ الادب العربي ٢٠٣) « ان هذه الطريقـة (الغزل المذكر) التي شرعها هـذا الشاعر الماجن كانت جناية على الادب ووصمةً في تاريخ شعر العرب » . ويقابل هـذا الحكم الخلقي للزيات رأي طه حسين في الوجهة الفنية من الموضوع وخلاصة كلامه ان هذا الغزل كان يحمل الناس على الاقبال على مطالعته وروايته مع كل ما فيه من منافاة للخلق والعرف والعادة والشرع . حينما تغزل الشعراء بالنساء وشببوا بهن لم يرَ احدٌ حرَجاً في ذلك — الا اذا شبب بامرأة معينة — ولا مأخذاً لانه من الطبيعي ان يميل الرجل الى امرأة ويستحلي صفاتها الجسدية ، ولكن من غير الطبيعي ان تخلق العلاقة نفسها بين رجل ورجل ، ومن هذه

الناحية فقط كان هذا النوع من الغزل بدعةً واحب بعض الناس ان ينصتوا اليه لانه شيء لم يكونوا قد عرفوه بعد .

ومهما كان من الامر فان الادب العربي ، فيما ارى ، لا يغبط كثيراً على خمريات ابي نواس وغزله المذكر ، وسواء نظرنا الى هذين البابين كوحدة فيما يتعلق بالخلق والفن او فصلنا بينهما فالحقيقة الباقية ان هـذا النهج كان اقرب الى وصم الادب العربي منه الى تزيينه .

يلحق بالغزل المذكر خاصة بابٌ يسمى باب المجون وهو التهتك في ايراد الغزل والنسيب ؛ والمجاهرة بالمعاصي ووصف اتيانها ، ولا ارى فائدة من دراسة هذا الباب ولا في اختيار شيء من قصائده .

٧. الزهد [الشعر الديني]

نحن الآن امام مشهد رائع من شعر ابي نواس ، امام زهدياته . قد نختلف في اساس توبة ابي نواس ونتسائل لماذا تاب الرجل ، ولكننا لا نختلف ابدا في ان الرجل وفق في اظهار تقواه واتقن التمثيل ؛ وازيد انا على ذلك انه تاب توبة نصوحاً .

انا اعتقد ان كل من يتهم ابا نواس في زهده غير منصف ؛ ربما كان الرجل مكرهاً على التوبة والرجوعِ عن المعاصي ، ولكن ذلك لا يمنعه من ان يكون في عمله هذا مخلصاً .

امامنا رجل ارتكب في شبابه جميع انواع المعاصي والوانها عامداً متعمداً ، عالماً بما اعد لمثله من العقاب ؛ وكان فوق ذلك يجاهر بذنوبه ويصر عليها ، ويتهكم على كل من يخالفه او يحاول ردعه عما هو فيه ؛ ثم احب هذا الرجل ان يرجع عن خطاياه فتاب واصلح ، فهل تكون توبته نصوحاً صادقة؟

دعنا من الجدال فيما اذا كان الله يقبل توبة مثل هذا الرجل او لا يقبل ، لأن هذا امر لا ابحث فيه انا ولا تبحث فيه انت اذ لا رأي لنا فيه بل الحكم لله ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، وارى ايضاً ان هذا يخرج بنا عن حدود الدراسة الادبية الى البحث في الفلسفة والكلام واقوال الفقهاء ثم لا نصل بعد ذلك الى نتيجة لأن الانسانَ لا يدين الانسانَ .

انا لا اريد ان ادافع عن ابي نواس فذلك امر ليس اليّ ولكنني اريد ان اعرف اذا كان الرجل مخلصاً في توبته او لم يكن لان تقرير ذلك يعينني واياك على تفهم زهد ابي نواس فنعلم حينئذ ان هذا الشعر يمثل قائله او نعلم عكس ذلك . خذ هذين البيتين من اماديحه في الامين :

ولقد نهزتُ مع الغُواة بدَلْوِهم وأسَمْتُ سرحَ الطرْفِ حيثُ اساموا
وبلغت ما بلغ امرُؤٌ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك أثام

ألا ترى معي ان الرجل بدأ يشعر بانه اخطأ ، وانه بحاجة الى التوبة والرجوع الى الله . انا لا انكر انه مكرهٌ على الرجوع عن المعاصي وانه لو بقي له كل نشاطه لتابع سيرته الاولى — ولربما كان منه غير ذلك — ولكن الذي يهمنا في دراستنا الحاضرة ان ابا نواس اخلص في التوبة وان شعره يمثله حقيقة . انه كان يشعرُ بِعِظَمِ ذنبه وذهاب عمره سدى فاناب الى الله ، وما يدريني واياك اذا كان الله يغفر له . ان الرجل اخلص فيما نظمه من الشعر الزهدي بعد توبته .

لو قارنا زهديات ابي العتاهية على كثرتها بزهديات ابي نواس على قلتها

لتبين لنا ذلك البَوْنُ الشاسع بين شاعر مُرائٍ يصنع الشعر تقليداً لما رسمه الوعاظ ورجال الدين ولا يعمل بما يقول ؛ وبين شاعر ترى في كل بيت ، من شعره في الزهد ، عِرقاً نابضاً من قلبه ، واثراً حياً من شعوره . هو لم يكن ينظم ليلقي بما يقول الى الناس بل كان يشعر ويتألم ثم ينفث بقايا حياته في بتلك الابيات فتحس في كل بيت ، بل في كل مصراع من كل بيت ، خشيةً تروعك ورهبة تستولي عليك ؛ ولا شك ان هاتين الخشية والرهبة كانتا مستوليتين على ابي نواس وهو يعبر عن شعوره . فابو نواس ، اذن ، جِدٌّ مخلص في توبته جد صادق في زهدياته ، اما المغفرة فهي لله وهو يغفر الذنوب جميعاً .

الفصل الرابع

ابحاث من ديوان ابي نواس

في هذا الفصل بدء دراسات محدودة ، جمعت لها موادّ تكفي للمقارنة الاولى ، ثم على الباحث ان ينطلق في الديوان ، والنصوص الادبية ليستخرج احكامه ؛ ومهما كانت النتيجة غير ظاهرة فستكون زيادةً في الثروة الادبية او اللغوية . واني اعتقد ان البحث في الادب واللغة لن يسمو الى المركز الذي يحتله في الغرب الا اذا صرفنا احتقارنا عن هذه النواحي الضئيلة، فرب تثبت من كلمة يفهمك عصراً ، او ناحية من عصر . وان من اشد اسباب اللذة ان نعلم تطور كلمات لغتنا وافكار ادبنا ومعانيه في مختلف العصور .

العمل على اساس واسع مستحيل فالشخص لا يستطيع ان يجلو ناحية ، مهما كانت صغيرة ، ولا ان يستنفد جميع وجوهها في جميع النواحي، ولكن لو درس كل باحث ناحية واحدة في ديوان واحد ، ثم فعل غيره مثله ، وكذلك آخر فآخر ، اصبح من الممكن فيما بعد ، ان يأتي باحث جديد يجيل رأيه وجهوده فيما يجد من الدراسات الخاصة ويستخرج منها دراسة عامة .

٠١ البديع

في اللغة العربية امثلة كثيرة على البديع تسبق عصر ابي نواس ففي القرآن الكريم مثلاً : « يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » [٢٤ (النور) : ٣٧] . ولكن هذه وامثالها لا تدل على قصد في استعمالها . ان اول من قصد الى ذلك صريع الغواني ، مسلم بن الوليد العباسي معاصر ابي نواس .

« اجتمع ابو نواس ومسلم بن الوليد في مجلس ، فتلاحيا على نبيذ . فقال مسلم لابي نواس : والله ما تحسن الاوصاف . فقال له ابو نواس : لا والله ما احسن ان اقول [في الخمر] :

سُلّتْ فسُلّتْ ثم سلّ سَليلها فاتي سليل سليلهـا مساولا

والله لو رجتَ الناس في الطارقِ لكان احسن لك من هذا ، [اخبار ابي نواس لابن منظور (مصر) ١ : ٧٦] » .

استناداً الى هذا يمكن وقف دراسة على هذه الناحية من شعر ابي نواس ، وساورد هنا بعض الابيات التي فيها شواهد على ذلك . انها بلا شك تحمل شيئاً من الصناعة اللفظية في غير اغراق وربما لغير قصد ، ولكنها تدل على بدء انتشار البديع وسبل تطوره : —

جعـل الرحمن في وجهـك يا حسنـاء قِبلهْ
فـأذَني لي بصلاة في محياك وقُبلهْ — ٤٦

اطال قصير الليل يارحم عندكم فان قصير الليل قدطال عندنا — ٧٥

لئن سُمّيتَ عباسا فمـا انت بعباس
لدى الجود ولكنـــــك عباس لدى الباس

وبالفضل ابا الفضل لك الفضل على الناس

عباس عباس اذا اضطرم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع —٩٦

مال ابراهيم بالما ل يمينا وشمالا — ١١٨

اترى لاء حراما وترى هاء حلالا — ١١٩

مال ابراهيم بالما ل كذا غربا وشرقا

فكفاني بخل من يخنق حلق الكيس خنقا — ١٢١

على ان هذا ليس كل ما في الديوان فهنالك العناء المعني (ص ٣٧) ومنية المتمني (٣٨) وشراسة وليان ، شتى الى متفرقٍ ، مقصر ومحلق ، كفر وايان ، انس ومن جان .

وكريم الخال من يمن وكريم العم من مضره —٦٩

حسناً عندي القبيح ، اغدو واروح .

فهو بالمال جواد وهو بالعرض شحيح ٦٩—٧٩

وللفضل حصن في يديه محصن اذا لبس الدرع الحصينة واكتنى

٧٥ ، راجع ٧٦

تأسو كلما جرحا .

ابدت عواصيَ من دمعي اطعن لها لما رميت بطرفي في نواحيها — ٩٤

اذا الجياد جرت يوم السباق جرت جوي السوابق تحثو في نواصيها—٩٥

وهنالك غير هذا ايضاً .

٢ — الكناية في شعر ابي نواس

« اخبرني علي بن سليمان الاخفش قال : اول من سبق الى الكناية عن اسم من يعني بغيره (اي بغير اسمه) الجعدي (نابغة بني جعدة) فانه قال :

اكني بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتتم

فسبق الناس جميعا اليه ، واتبعوه فيه . واحسن من اخذه والطفه فيه ابو نواس حيث يقول :

اسأل القادمَين من حكمان[1] كيف خلفتما ابا عثمان

فيقولون لي جنان كما سرك في حالها ، فسل عن جنان

ما لهم ، لا يبارك الله فيهم ؛ كيف لم يغن عنهمُ كتماني؟»[2]

. . .

عرفت الكناية عن اسم الحبيبة منذ الجاهلية بالفاظ مختلفة نحو « يا اخت فلان ، اخت الشمس . . » ولكنها شاعت في العصر العباسي واختيرت لها الفاظ خاصة، ومما يثير الدهشة ان تنشأ الكناية في مثل العصر الذي وجد فيه ابو نواس : عصر تهتك في الغزل والنسيب ، وادعى من ذلك الى الدهشة ان يحرص عليه المتغزِّل والمتغزَّل به كلاهما .

لنقرأ الابيات الآتية ففيها صورة كاملة للكناية ، وهذه الابيات لابي نواس :

---

(١) موضع بالبصرة ، راجع ص ٩ .

(٢) الاغاني (دار الكتب) ٥ : ٢٧ .

طفلة كالغزال ذات دلال فتنة في النقاب والاسفار
اتمنى وما بكفّي منها غير مطل وغير سوء انتظار
ثم قالت : « جهرتَ باسميَ في الشعر؛ فهلا كنيت في الاشعار؟
قلت : « ان الهوى اذا حل بالصب وهى قلبه عن الاسرار ؟
انا جار لكم قريب ؛ ولكن ليس يغني لديك حق الجوار » .

واليك الآن جل الاماكن ، في شعر ابي نواس ، التي ورد فيها كناية عن المحبوب او المحبوبة بغير اسمه او اسمها ؛ ويجدر بالعلم ان نلاحظ الصيغ ، فقد تكون مذكرة وهي كناية عن انثى ، ومؤنثة وهي كناية عن غير انثى ، وقد تكون غير ذلك [1] .

جفاني اذا يوما الى الليل (سيدي) واضحت يميني في مواعيده صفرا — ٩٦
اصبحت ، غير مدافع ، (مولاكا) والحظ لي في ان اكون كذاكا — ١٠٩
ليَ (مولى) ارتجي منه على رغمك عتقا
قمر بين نجوم ناصب في الصدر حقا — ١٢٠ — ١٢١
(مولى) جنانٍ وان ابدى تجلده يهوى جناناً فيرجوها ويخشاها
مولاته هي في المعنى ، وحق لها والناس يدعونه باللفظ (مولاها)
الله (مولى) دنانير (ومولائي) . . . . . — ٣٦٠
مالي وللعاذلات زوّقن لي ترهاتي
سعين من كل فج يلمن في (مولاتي) — ٣٦٧، راجع ٣٧١
ما للعداة اذا ما زرت (مالكتي) كأن اوجههم تطلى بأنقاس — ٣٨٣

(١) الكلمة المقصوده محصورة بين هلالين ، والرقم الذي يلي البيت يدل على الصفحة في ديوان الشاعر (مصر ، اسكندر آصاف) .

لئن ابررت بعضي دوت بعضٍ وذلك يا (منائي) في يديكا — ٣٨٨
قد رمت باليأس قلبا يا(معذبتي) واليأس ببطل لولا قوة الرجل — ٣٨٩
راجع ٣٩١
بأن (اميرتي) غرا ء في عرنينها شمم — ٣٩٣
يا احمد المرتجى في كل نائبة [1] قم (سيدي) نعص جبار السموات — ٢٥٠
(او كما قيل قبل ، اياك اعني، فاسمعوا يا معاشر الجيران) [2] — ٣٩٥
اكتبي ان كتبت يا (منية النفس) بنصح ورقة وبيان — ٣٩٦
مكنون(سيدتي)جودي لمحزون متيم باليف الحب مقرون — ٣٩٩
وان يرى النقصان في نفسه حاشاك (يا من لا اسميه) — ٤٠١
ضعفت عنه وقل صبري ما اضعف العبد عن (مواليه) — ٤٠١
قد ملني اهلك يا (سيدي) ونفروا عنّيَ (مولائي) — ٤٠٣
دجلة همي وفكرتي ، وبها كان لحيْني فراق (مولائي) — ٤٩٥
لا خير في العاشق الا فتى لاطف (مولاه) وداراه — ٤٠٦
واصداغ يرصفها (اميري) على خد تلألأ وجنتاه — ٤٠٦
فديتك، جسمي كان احمل للشكوى وكان عليها منك يا(سيدي) اقوى — ٤٠٧
يا بكر من سميته (سيدي) ملحت لي جسما فما تعذب — ٤٠٧
فما الذي (يا فُدِيتَ) غيّر او بدّل ، اوغال ذلك السبيا — ٤٠٩
يا (بِأبي ، يا املي) — ٤١١ ، ٤١٩

---

(١) في هذا البيت كناية من اقبح الكنايات .

(٢) في اللغة العامية مَثَل مثْل هذا « احاكيك ياكنة لتسمعي ياجارة » وقد يعكس .

قال فتصبو ، قلت يا (سيدي) واي شيءٍ منك لا يُصبي ؟ — ٤١١

ولقد اقول ودمع عيني مسبل [فيما] عتبت عليّ لي (يا واحدي) — ٤١٧

فلم ار مثلي صار (عبداً) لمثله ولا مثله يوماً اضر (بعبده) — ٤٢٠

لمْ تغضبت على (عبـ دك) في امر يسير ؟

فارض عني بحياتي يا (حياتي واميري) ٤٢١ — ٤٢٢

فقلت له اقصر عن اللوم (سيدي) فمن ذا يطيق الصبر عن مشبه الرشا؟

فرق لي (المولى) ففزت بموعد وقال انتظرني قبل مقتبل العشا — ٤٢٦

اذا ابتهلت ، سألت الله رحمته ، كنيت عنك وما يعدوك اظهاري[1]

اكذا سريعاً صار حبـ ك (سيدي) متنقضا ؟

ابغضتني يا (سيدي) افديك حباً مبغضا — ٤٢٧

فاعرض ما يكلمني كذا (المولى) اذا ملكا — ٤٣٠

من الكلمات التي استعملت للكناية ايضاً « جار ، وجارة » ، كانتا منذ ايام الجاهلية على الارجح [2] ؛ ولقد ورد لابي نواس شيء غير قليل في معاني الجار المختلفة ص ٩١ ، ٩٤ ، ١٠٤ (ثلاث مرات) ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٩٥ .

ويلتفت نظرنا خاصة الى قوله :

---

(١) هذا بيت غزلي قاله ابو نواس في « رحمة بن نجاح » ، انه يظهر طلب «رحمة الله » ويضمر التقرب من « رحمة بن نجاح » .

(٢) راجع جريدة الاحرار البيروتية ٦ آب ١٩٣٢ ففيها بحث مستفيض عن ذلك وشواهد كثيرة

الجار ابلانيَ لا الجارهْ بحسن وجه حسن الداره — ٤٢٥[1]

قارن ذلك بما ورد في ص ٣٨٩ ، ٣٩٣ .

٣ . آل ابي نواس

نرى من الفصل الاول اننا نجهل اشياءَ كثيرةً جداً عن آل ابي نواس ، فلا ابوه ولا امه على التحقيق ، ولا اخوته كانوا مشهورين . ثم ان التاريخ لم يترك لنا شيئاً يخبرنا عن زوجه واولاده الذين نلاحظ من ابيات في الديوان انهم عاشوا في بغداد . وقد نلاحظ خاصة من كتاب ابن منظور ومن الاغاني ان بيته كان في بغداد على الاغلب قرب بيت آل الثقفي — حيث كانت الجارية جنان — . لكن بيوت بغداد المبنية بالطين لا تعمّر كثيراً ، وبالنتيجة لا تحفظ آثار ساكنيها .

٤ . الخصيب

لعل اغمض نقطة تتعلق بدراسة ابي نواس « شخصية الخصيب » ، واعتقد ان ديوان الشاعر هو المصدر الوحيد لشهرة هذا الرجل [راجع الفصل الاول] ؛ وقد نرى بصراحة ان كنية الخصيب كانت « ابا نصر » .

ذهب ابو نواس الى مصر كبير الامل بالحصول على مال كثير كما ذهب اليها فيما بعد المتنبئ يمني نفسه بالحصول على امارة او ولاية ؛ الا ان الاثنين رجعا قانطين ، الاول يهجو الخصيب ، ويهجو مصر ، والثاني يهجو كافوراً .

---

(١) مثله : ١٣ آب ١٩٣٢ ، و٢٣ كانون الثاني ١٩٣٢ .

٥٠ الكلمات العامية

مع كل ما رأينا لابي نواس من المقدرة العلمية واللغوية فقد ترك لنا في شعره كلمات عامية ، او على غير قياس متفق عليه ، فمن ذلك قوله :

فليتِ ما انت واطٍ [١] من الثرى لي رمساً [٢]
وَصيف كأس مُحَدَّثَهْ ملك تيه غنى وظرف زنديق

اذا اعوججن قلت صاحبْ قوم [٣]

عندهـا صاح حبيبي يا معلمْ لا اعـود [٤]
شمول تخطتها المنون وقد اتت سنونَ لها في دنها وسنونُ
تراث اناس عن اناس تخرموا توارثها بعد البنون بنونُ [٥]
انس نَفسي كيف استجزت اطراحي فيمَ ذا سيدي وذاك لأيْشِ ؟ [٦]

. . .

ثم هنالك ما قد نستطيع اخذه على ابي نواس من كلمات ، قليلة جداً وذلك بلا ريب ، وضعها شاعرنا في غير موضعها على رأي بعد القدماء ، وقد اورد بن قتيبة شيئاً من هذا .

---

(١) راجع ابن قتيبه ، الشعر والشعراء (ليدن ١٩٠٢) ص ٥١٩ — ٥٢٠ ففيه شيء من هذا ، ورأي حصيف .

(٢) القياس « واطيء » (٣) القياس رمس ، ولكنه نصبها على التمييز ، وفي ذلك نزاع (٤) سكن محدثه ، صاحب ، معلم ، ربما ضرورة ولكن على غير وجه .

(٥) هكذا وردت في « الشعر والشعراء » .

(٦) لايش كلمة عامية فصيحها « لاي شيء » .

وقد أُخذ عليه ايضاً قوله

كان صغرى و كبرى من فواقعها حصبـاء در على ارض من الذهب

لانه لم يُحَلّ « كبرى وصغرى » بال التعريف .

٦ . الغزل المذكر

اننا نخطأ كثيراً اذا ظننا ان الغزل المذكر باب من ابواب ديوان ابي نواس دون غيره ؛ فلقد شاع هذا الغزل في العصر العباسي واخذ به جُلّ الشعراء ، ولكن شاعرنا اكثر منه وتوسع فيه فعرف له اكثر مما عرف لسواه .

يجب علينا قبل الانطلاق في البحث ان نقسم هذا النوع من الغزل الى قسمين : الغزل المؤنث الذي جاء في لفظ مذكر ، والغزل المذكر المقصود بذاته ؛ وهذا الاخير ما نعنيه هنا .

قد يكون ، كما ارى انا على الارجح ، الاول علاقة بالثاني ، ولكن مما لا شك فيه ابداً ان بعض عناصر البيئة العباسية كانت السبب المباشر لاثارة هذا الفن . لو تتبعنا صور هذا النوع من الغزل لوجدناها كلها الا النادر ، في بيئات اجنبية ، وعلى هذا لانتردد في القول عن الغزل المذكر إنه دخيل على الشعر العربي [1]

نجتاز الشعر الجاهلي والاموي وقسما من الشعر العباسي في الصدر الاول فلا نجد لهذا الغزل المذكر المقصود اثراً ، وقد نجد غزلاً مؤنثاً في لفظ مذكر ، من ذلك قول طرفة في معلقته :

وفي الحي احوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطيْ لؤلؤ وزبرجد
وتبسم عن ألمى كأنّ منوراً تخلل حُرّ الرمل دعص له ندي

---

(١) راجع الاحرار ١٨ كانون الثاني ١٩٣٢ .

او قول النابغة :

هــذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام

للحارث الاصغر والحارث الاعرج والاكبر خير الانام.

وتجد شيئاً من هذا لتأبط شراً [1] ؛ اما في العصر الاموي فتجد مثلا قول عويف القوافي يمدح عبد الرحمن بن محمد بن مروان

غلام رماه الله بالخير يافعاً له سيمياء لا تشق على البصر

كأن الثريا علقت في جبينه وفي خده الشعري، وفي جيده القمر

وتجد لعمر بن ابي ربيعة :

ولقــد كان آهلاً فيــه ظبي مبتل

طيب النشر واضح احور العين اكحل

فبما بان اهــله لبما كان يؤهل

اذ فؤادي بزينب ام يعلى موكل.

وغير هذا ايضاً .

وُجِدَ في العصر العباسي شيء من الذي تقدم، كناية عن انثى بلفظ مذكر، (راجع في الاغاني : سعيد بن حميد) وتجد ايضاً مديحاً في غزل اذا بحثت في الاغاني (١٧ : ٧٤)، للزبير بن دحمان في هرون الرشيد .

اذا درسنا الغزل المذكر المقصود وجدناه ينشأ في بيئات اجنبية عن العرب والمسلمين، اذ اننا نعلم جيداً انه انما بدأ في الحانات، وهذه لم يكن يديرها سوى الروم او الفرس المجوس، او اليهود. تلك نقطة لا تحتمل الجدل ابداً،

---

(١) الاغاني تحت « تأبط شراً » .

واذا قُيّض لك ان تقرأ البيت او البيتين او القطعة او القطعتين ، وكانت كلها تدل على ذلك ، قلتُ مع الانكليز « الشاذ يثبت القاعدة » .

لا اريد هنا ان استشهد على ما ارى فهو كثير جداً في كل الدواوين العباسية ، وخصوصاً المتأخرة قليلاً ، ولكنني احب ان اقول ان هذا النوع بدأ تغزلا بغير العرب المسلمين — بدأه طبعاً الشعراء العرب ثم شاع بين غيرهم وتمازجت العناصر والمقاصد فيه .

من ابرز الامثلة على ذلك قول عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع (عباسي) [الاغاني ١٧ : ١٢٩] .

وغزال مكحل ذي دلال ساحر الطرف سامريّ عروسي
قد خاونا بطيبه نجتليه يوم سبت الى صباح الخميس
يتثنى بحسن جيد غزالٍ وصليبٍ مفضض آبنوس
كم لثمت الصليبَ في الجيد منه كهلال مكلل بشموس

* * *

هذا ما بدا لي الآن ان اقوله ، وانا لا ادعى كما سبق لي وقلت في الكلمة الاولى — انه كل ما يمكن ان يقال عن ابي نواس ، او انه الكلمة الاخيرة ، انها محاولة لاظهار الشاعر في صورة جلية ؛ مع انني تركت كثيراً من الروايات التي ليس هذا الكتيب مستقراً لها . واراني مستعداً لقبول ملاحظات الدارسين والمنقبين والباحثين ، او الذين يستنتجون من النصوص التي اعتمدت عليها اراء واحكاما

اقرب الى الصواب المعقول ، او ادل على الحقيقة واشكر عليها ؛ وها انا ارفع يدي عن الورقة الاخيرة قائلا مع الشاعر العربي :

ان تجد عيباً فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا .

يلي هذه الدراسة

مختارات

من شعر ابي نواس

مع مقدمات في اسباب نظم القطع المهمة منها ،
وما اعتراها من احوال ،
او تعلق بها من مناسبات .

DATE DUE

MAY 29 2003

JUN 02 2004

SEP 30 2004

JUL 15 2005

FEB 15 2010

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0038480549

PJ
7701
.A2
Z5

NOV 27 1973

PJ-7701-.A2-Z5